الياس ابو شبكة

افاعي الفردوس

شعر

المكشوف

منشورات «دار المكشوف»

الصبي الاعرج (نفد)	توفيق يوسف عواد
عشر قصص (نفد)	خليل تقي الدين
قميص الصوف	توفيق يوسف عواد
عمر افندي	لطفي حيدر
كان ما كان	ميخائيل نعيمه
ليلة القدر	احمد مكي
العراق بين انقلابين	عبد الفتاح ابو النصر اليافي
ارجوحة القمر (شعر)	صلاح لبكي
على المنبر (الجزء الاول)	الدكتور نقولا فياض
الاشتراكية العملية	ابراهيم حداد
خطيئة الشيخ	رشاد المغربي
الباب المرصود	عمر فاخوري

* تحت الطبع *

وهل يخفى القمر ؟ — رئيف خوري

افاعي الفردوس

الياس ابو شبكه

افاعي الفردوس

شعر

المكشوف

بيروت ١٩٣٨

طبع من هذا الكتاب الف نسخة على ورق « برشمان »
و٢٦ نسخة على ورق «بوفان» مرقومة من ١ الى ٢٦



فى حديث الشعر

لا اكتب هذه المقدمة لأحدد الشعر ، أو لأعلم الشاعر كيف ينبغي له أن يشعر ، وأي طريق يجب عليه ان يسلك ليصل الى هيكل النور الاسمى ، أو لأجيء بنظرية أتعصب لها وأعلن لأجلها حرباً ، فالشعر كائن حيّ تحتشدفيه الطبيعة والحياة ، فلا يقاس ولا يوزن ، والنظريات مذاهب وأغراض لا تعيش الا على هامش الادب كما يعيش العرض على هامش الجوهر أو كما يعيش الديكتاتور الزائل على هامش الأمة الأزلية .

وقد تصحّ النظريات او المذاهب في كتاب سياسي أو وصية سياسية موجهة الى شعب له أوضاعه الخاصة ، وحدوده المقررة ، وثقافته ، وجنسيته ، ولا تصحّ في شعر يعبّر عن الحياة ، فالحياة لا جنسية لها ولا أوضاع ولا حدود ، وهي اوسع من ان نضع لها حدوداً ومقاييس ، والدائرة الغير المحدودة لا تنحصر في الحدقة الضيقة .

ليس للفكر حدّ ولا تخوم فكيف نضع للحياة حداً وهي هدف

الفكر ؟

كيف نحدد هذه القوة المتحولة في اللانهاية ، هذه القوة المجهولة ؟

ورب قائل إن الانسان دائم الشوق الى معرفة المجهول . وهذا صحيح ، على ان الشوق الى معرفة المجهول لا يلزم العقل البشري الا عندما يقتنع الانسان بان ادراكه الحسي للعالم الخارجي لا يكشف له حقايق الاشياء التي يراها ويلمسها ، ويضطر الى الاعتراف بان ادراكاته الذاتية ليست سوى تأثيرات لسبب خارجي يجهل حقيقته . ولكن الجاهل لا تمر في خاطره أية شبهة بشهادة حواسه الذاتية ويعتقد كل الاعتقاد أن الاشياء التي يراها ويلمسها هي الحقايق بعينها .

ولا يمكن تحويله عن هذا الاعتقاد لان نظريته في مبحث المعرفة تمثل أحط دركة من المادية التافهة ، ولانه يصر على ادراكه ما لا يدرك بل يحس على ادراكه الحقيقة المطلقة ورؤيته اياها من وراء المظهر المتحول في الحياة .

كيف نستطيع إدراك ما لا يدرك بل يحس لنقيده في دائرة ضيقة من اصطلاحاتنا البيانية ثم نوزعه مذاهب وطبقات هي سياسة الشعر لا طبيعته ؟ أليس من الخرق ان نحاول بلغة وضعية تحديد لغة المجاز والكناية ، لغة الروح ، لغة الحس الوجداني العميق ؟

وقد يعمد بعض هواة النظريات الى تحديد الشعر بالطريقة

الفلسفية ، وفي هــذا دليل على شك هذا البعض في الشعر نفسه : في جوهر الحياة.فالمرء لا يلزم جانب التفلسف الا عندما يخالجه الشك ، مزعزع الاعتقاد بمطابقة المداوك الحسية لحقيقة الاشياء المدركة . وهذا الشك الفلسفي ينم في حد ذاته على الاعتراف بعجز الوسائل العلمية وقصورها . وهذا الاعتراف يرغمنا في نهاية الامر على التسليم باننا لن نتمكن من معرفة حقـايق الاشياء بوسائلنا المحدودة ، وان ضعف وسائلنا ناجم عن طبيعة تكويننا الناقص ... وعندئذ يصبح المجهول في نظرنا السر الغامض ، أي الحد الاخير الذي يقف عنده الذكاء البشري .

هذا هو الشوط الذي تجتازه الفكرة الفلسفية عندما تصدر عن الشك لتتخلص الى الشوق لمعرفة المجهول.واذا أضفنا الى هذهالبيّنات التأثير المخيّب لتقلب الحياة في هذا العالم ندرك في الحال أن من العبث والجهل الضـائع التشبث في البحث عن الحقيقة المطلقـة الثابتة وراء مظهر الوجود المتقلب ، وعندئذ يغمرنا هذا الادراك بكآبة عميقـة فنفهم السبب الحقيقي لذلك التشاؤم العميـق الذي يستولي عادةً على الشعراء .

اذن ثمة حقيقة غامضة من العبث البحث عنها لتحديدهـا ، وقد قال الاب بريمون : « ان كل قصيدة مدينة بطابعهـا الشعري لتألق هذه الحقيقة الغـامضة . » وربمـا اراد الاب بريمون ان يعني بهذه

« الحقيقة الغامضة » الوحي . وهو في ذلك لم يجيء بنظرية بل عبر عن شيء يجهله ولكنه يشعر به ، خلافاً لبول فاليري الذي تعمد الاتيان بنظرية عندما قال: « اذا آمن الشاعر بالوحي قتل الابداع » فاذا كان الوحي حالة من حالات النفس عند تأثرها المباشر بقدرة خارقة وشئنا ان ننكر هذه الحالة أنكرنا جوهر النفس ذاته — أنكرنا مبدأ الحياة . وأية غضاضة على الشاعر ان يكون وسيطاً لهذه القدرة الخارقة ؟ فالانبياء كانوا يتسقطون كلام الله . والقدرة الخارقة ليست منفصلة عن الانسان ، فهي جوهر نفسه . فاذا أرسل الشاعر نظره في معرض الطبيعة واجترّت عيناه مشهداً من مشاهد هذا المعرض ثم خبزه على نار هذا الجوهر فيكون قد اعطاك من نفسه . والنفس هي المصهر الداخلي الخفي لكل ما يحيط بالانسان . فاذا كانت النفس مفطورة على الصفاء وتهيأت لها العوامل الثقافية المكمّلة تنقي الشعور من ادرانه وتقوم بهذا العمل من تلقائها فلا تكلفك اجهاداً ولا تعملا ... شأن المعدة الصحيحة تهضم الطعام وتتولى توزيع الدم النقي في الجسد واخراج الفاسد منه .

قلت إن القدرة الخارقة ليست منفصلة عن الانسان فهي جوهر نفسه ، فعلى هذا الجوهر تنصهر المرئيات وتشترك في هذا العمل جميع الحواس . إذن فالقدرة الخارقة التي يتأثر بها الشاعر هي نفسه . والنفس قوة لم يُدرك كنهها لتحدد ، فكيف ننفي الوحي الشعري

ما دامت النفس مصهر الشعور ؟

ويقول فاليري ايضاً إن الشاعر من يستطيع النظم ساعة يشاء وليس الشاعر وقفاً للمصادفة ، وانه لمن الخطل القول بان الشاعر منفعل لا فاعل ومتسقط ما يلقى عليه .

كأني ببول فاليري يريد ان ينزل الشاعر منزلة النجار او الحداد يقبل على عمله ساعة يحين موعد العمل او ساعة يريد العمل فيكون فاعلا لا منفعلا . وهذا ابعد حدود الخطل وامتهان فاضح لجوهر الشعر ، واين هو هذا الشاعر الذي يصطنع العاطفة اصطناعاً ليعطيك كل ساعة انتاجا كالنجار يعطيك الخزانة في الوقت المتفق عليه ؟

اين هو هذا الشاعر الذي لا يتأثر بما حوله ومن حوله فلا هجر حبيب يؤثر فيه فيحرك شعوره ، ولا موت صديق او صديقة ولا نكبة عزيز ، ولا كارثة امة ولا فرح شعب ، لا الظفر ولا الانكسار ، لا الذل ولا الكرامة ، لا ربيع الطبيعة ولا شتاؤها ، لا صيفها ولا خريفها ؟

واية غضاضة على قريحة الشاعر اذا هي مرّت بساعات خدر ؟ أفيكون الشاعر ملتزم اشغال في يده مقياس الزمن لانجاز عمله ؟ ألا يتفق للقريحة ان تمرّ في ساعات خدو فلا ترى ما تراه في ساعات اليقظة الروحية ولا تحس ما تحسه في ساعات التأثر والانفعال ؟ والا ففيم لا يترك الشعراء من الروائع الا ثلاثاً او اربعاً لا تسلخ من العمر

أكثر من سنة ؟ قال احد الشعراء الخالدين اذا أحصي الوقت الذي وقفته على نظم قصائدي فلا يعدو تسعة اشهر .

وقال فاليري ايضاً ان الشاعر الموهوب من يختار اللفظة الصالحة لاحداث الرعشة النفسية واحياء العاطفة الشعرية .

على ان الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار اللفظة فله من شعوره الزاخر ما يصرفه عن هذه الالهية . وعندي ان الشعر ينزل مرتدياً ثوبه الكامل ، وهذا الثوب جزء من الشعور لا يتجزأ ، وقدر ما تكون ثقافة الشاعر من الرقي والذوق الموسيقي في روحه يكون البيان راقياً في شعره . وهذه اللفظة التي يريدنا بول فاليري على ان نختارها تتكاثف العناصر الروحية فينا على اختيارها فلا تكلفنا هذا العناء او تصرفنا عما تراه بصائرنا خلال الاحلام والرؤى . فكل ما يكتسبه المرء يصهره جوهر نفسه ، القدرة الخارقة ، فيصير عضواً فيه .

سوى ان فاليري ما لبث ان نقض نظريته في الوحي الشعري في محاضرة له عن « الهامات البحر المتوسط » ، وفي هذا دليل على فساد النظريات في الأدب . فقد وصف الشاعر الفرنسي الزوارق الماخرة عباب بحر الروم والجيف الحمراء تتركها الاسماك المبقورة ، وأهرام البرتقال المصدّر من اسبانيا ، ودلل على اقطاعات الروح البشرية والاساليب التي تتكوّن منها هذه الاقطاعات ، وعلى تطور

النور الناشىء والسماء والشواطىء وأثر هذه المشاهد في روحه ٠

وشاء ان يحدثنا عن جميع العوامل والمؤثرات التي كان لها الفضل الاكبر في تكوين مخيلته واحساسه فأخبرنا ان جمال البحر جذبه في صباح يوم وفيما هو يغتسل ويمتع الطرف والروح بتموج النور على سطح الماء اذا بمشهد تقزّ له النفس يعترض نظره ، فقد رأى على مقربة منه ، في قعر الماء الصافي الشفاف، أشياء حمراء بلون الورد الخفيف او الارجوان العميق ، وعلم بكثير من المقت انها كتل فظيعة من احشاء الاسماك التي طرحها الصيادون في البحر ، ولم يقوَ على الهرب مما رأى ولا على تحمُّله لان عاملين في نفسه كانا يتنازعان الشعور بالجمال الحقيقي الغريب في فوضى هذه الالوان الأصلية . وفيما هو مستسلم الى المقت والرغبة في الاستفادة ، يتقاسمه عامل الهرب وعامل التحليل ، كان يفكر في ما يستطاع استنتاجه من هذا المشهد . ثم انتقل بالفكر الى ما في شعر القدماء من الوحشية والدم ، وتذكر ان الاغريق ما تورعوا عن وصف أفظع ما تقع عليه العين...وان الاساطير الاغريقية وشعر الملاحم والمآسي طافحة بالدم ، ولكن الفن اشبه ما يكون بسطح الماء الصافي الذي رأى خلاله تلك الاشياء الفاحشة ٠

وانتقل بول فاليري الى الدور الذي مثله البحر المتوسط بما اتصف به من الخصائص المادية في تكوين الفكر الاوربي الذي حرر

العالم البشري بأسره ، ومما قاله ان طبيعة البحر المتوسط والعلاقات التي قررها او فرضها كانت أساس التكوين النفساني والفني ، هذا التكوين المدهش الذي استطاع ببضعة قرون ان يميز الاوربيين من سائر الخلق ، والزمن الحاضر من الازمان الغابرة ، فأقوام البحر المتوسط هي التي خطت الخطوات الأولى الواثقة لايضاح الأساليب والبحث عن الظواهر الطبيعية باستخدام قوى الفكر .

وبعد ان وصف الشاعر مواقع البحر المتوسط ومزاياه الطبيعية انتهى الى القول بأن ابداع الشخصية البشرية ورفعها الى مستوى من الرقيّ والتطور الاكمل كانا من مبتدعات هذه الشواطىء . ويتضح لنا من هذا ان فاليري اصبح مؤمناً كل الايمان بـ « الوحي الشعري » بدليل ان البحر والشمس والسماء هي مصدر تكوينه وتثقيفه وان طبيعة البحر المتوسط كانت اساس التكوين النفساني والفني الذي ميّز الاوربيين من سائر الخلق ...

ولن اعمد هنا الى مجادلة هذا الرأي في تمييز الاوربيين من سائر الخلق فلكلٍ في تمييز عنصره مدلول يخالف به الآخر ، بل أقصر الكلام على الوحي الشعري من غير ان اذهب مذهب العرب القدماء في ان الوحي يلقّن من فم شيطان ، وان الشياطين تسترق السمع وتلقيه على الالسنة .

فالوحي يتولد « على صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة النور في

النفس » — على حد قول المسعودي — وأضرب مثلاً على ذلك هذا الغدير الصافي لا تشقى العين في رؤية السماء وغيومها وسحبها ونجومها ماثلة في قعره كأن هذه السماء وما عليها هاتف في أعماق نفس الغدير . وللطبيعة الحكم المطلق في تصريف النفس البشرية واثرها الكامل في الحس، وليس في المروءات النفسية والجسدية ما لا تحكمه الطبيعة .

وفي الطبيعة اسرار لطيفة لا يدركها الحس مهما دق بل يشعر بها اذا قويت النفس ، والنفس مهما قويت لا تستطيع قهر الطبيعة لاقتناص سرها اللطيف إلا اذا تجردت من ادران هذا العالم . وهذا مستحيل .

اذا تجردت النفس من هذه الادران بلغت النسبة النورانية الكاملة ، بلغت مستوى الطبيعة ، بلغت ذات الله . والنفس النقية هي الله .

على ان للنفس هنيهات تصفو فيها فينعكس عليها من الطبيعة جمال محجوب، وهذا الجمال يهتف في النفس اسراراً تنطق لسان الشاعر الثقيف بمعان شريفة .وعبثاً نحاول معرفة هذه الاسرار فهي من الغموض واللطف بحيث تدق على ادق حس ، ويكفي ان نسمع من هذه الاسرار ما ينطق السنتنا ويفتح اذهاننا لمشاهد تراها بأم العين.

وربما اراد الاب بريمون بقوله :«انه لا حاجة لفهم معنى الشعر

فالسحر المنبعث عن موسيقاه يؤثر في النفس تأثيراً مباشراً ، » ربما أراد بقوله هذا ان يعبّر عن تأثر النفس بانعكاس الجمال المحجوب في الطبيعة عليها ، ويُظهر ان هذا الجمال الغامض انما هو موسيقى الطبيعة تعزف على اوتار النفس معزوفات غامضة من نوع ذلك الجمال .

على ان هذا ، وان يكن حقيقياً ، لا ينبغي جعله اساساً للشعر فالموسيقى هي عنصر من الشعر لا كله ، وهذا العنصر غامض ككل شيء يُسمع ولا يرى. ومن الخرق الفاضح ان نكتفي من الشعر بموسيقاه ونقدم فيه وصف ما لا يوصف على سائر عناصره ، فللشعر عناصر متساوية يجب ان تجري كلها في حلبة واحدة فلا تنحط الفكرة عن الموسيقى او الصورة عن الفكرة .

ومن الخرق ايضاً ان نتخذ الشذوذ قاعدة للشعر فنذهب مثلا مذهب الاب بريمون القائل بان الشعر الجميل يخلو احياناً من المعنى او اذا انطوت اجزاؤه على معنى لا ينطوي عليه في مجموعه . فالشعر اذا اقتصر على الموسيقى لا يلبث ان يشيع الملل حتى في الاذن . ولا بد هنا من القول ان الشعر يرافق جميع وجوه التفكير ، فالشاعر قد يطرق باب الفلسفة ولا ينحط عن الشعر . على ان هذا الشاعر ليس بأبي العلاء المعري مثلا ، فأبو العلاء يقتحم الفلسفة في شعره فيناقش فيها كالمعلم العالم و لا يلزم المزاج الفني فيلمح الى الفكرة التي تبدو له بتعبير يستخدم فيه جميع انواع المجازات والاستعارة والرموز بحيث

يحدث التأثير النفساني المنشود .

وقد يطرق الشاعر ايضاً باب الزراعة ولا ينحط عن الشعر كما فعل فرجيل في « الجيورجيات » فقد نظم هذا الشاعر قصيدته هذه ليحمل الرومانيين على تعشق الارض نزولا على رغبة اوغسطس، على انه سيَّر معارفه الزراعية في موكب من الالفاظ الموسيقية حمّله من عذوبة الحنان وروائع الوصف ما ادرج قصيدته في عداد الروائع الشعرية الخالدة .

وما اقوله عن فرجيل اقوله عن جميع الشعراء الأقدمين والمتأخرين الذين استخدموا مواهبهم لاكتشاف كنوز الطبيعة والحياة ، فالطبيعة هي قيثارة الشاعر ، وعبثاً يحاول الشاعر البحث عن اوتاره في غير هذه القيثارة . والشاعر الحقيقي هو تاريخ عصره ملحّناً ، فلولا الشعر ما عرف تاريخ العرب في الجاهلية ، ولولاه ما عرف تاريخ الفروسية والكرامات في الرومان ، ولولاه ما عرف تاريخ الاغريق . ولما اراد الكاتب الفرنسي اتيان باسكيه وضع كتاب عن الحياة الوطنية في القرون الوسطى اضطر الى قراءة الملاحم الشعرية Les chansons de geste .

قرأت اخيراً مقالا للكاتب الفرنسي ادمون جالو عن شاعر عظيم من شعراء القرن الثاني عشر يدعى شوتا روستافيلي ، عاش تحت السماء التي اظلت الفردوس الارضي وجبل ارارات الذي وقف عليه

فلك نوح . يقول ادمون جالو إن لهذا الشاعر الذي اكتشف اخيراً قصيدة او ملحمة رائعة هي امدوحة للانسان كما كيفته اواخر القرون الوسطى ، في قوته، وشعوره بالشمم والعدل، وسذاجته على عتبة الانبعاث . قال: «حالما نقرأ هذه القصيدة « انسان في جلد نمر » نقع في ذهول حيال هذه السكرة الشرقية ، ذلك اننا نحن الغربيين المساكين فقدنا عادة التشنج الكلامي ، ونكاد نختنق في هذا الجو من البخور والالوان . » ونحن الشرقيين فقدنا بدورنا ذلك التشنج الكلامي ونكاد نذوب في هذا الجو من البخور والالوان الغربية . . هذا الجو الذي اجتاحت غيومه السامة بلدان الشرق مندفعة بقوة الاجتياح السياسي .

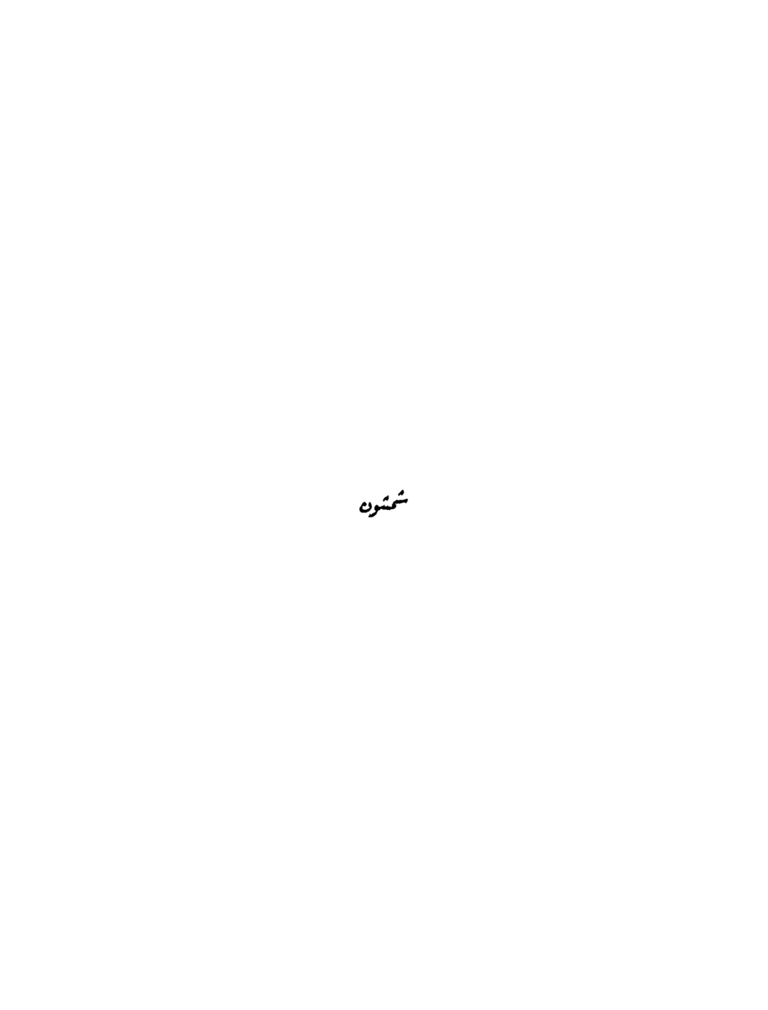
وأني لأتساءل ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيق ، هذا القاموس المستورد نتشبث فيه للتعبير عن اعمق حقايق النفس فنرفع الكلفة بيننا وبين اللغة ، ولا نتورع عن سلوك مهامه غائمة كأننا في حلم ؟ وقد يخيل الينا ونحن نسلك هذه المهامه اننا نسير في الطريق الشعري السوي بينما نحن في الحقيقة لا نحاول الا الخروج عن انفسنا مستعبدين لنظريات خاطئة بل مضرة تحرر منها حتى مبدعوها انفسهم . فبول فاليري الذي جاءنا بمشاريع نظريات خلقت في الأدب العربي جيلا مضعضعاً لم يحد عن صراط ماليرب ولم يتمرد على القاعدة الكلاسيكية في النظم . واني لأجد في شعر فاليري ابياتاً كثيرة

يستطاع دسهـا في شعر لامارتـين ، كما اني اجد في شعر البرناسيين امثال غوتيه وبودلير ما يستطاع نسبته الى شعر اعدائهم الرومانطيقيين كلامارتـين وهوغو وفينيي ، وشعر الرمزيين كفيرلين ومالارمي .

قلت في مستهل هذا الحديث إني لا اكتب هذه المقدمة لأحدد الشعر او لأجيء بنظرية اتعصب لها واعلن لاجلها حرباً بل اكتبها لأرد صادراً الى مصدره ، لأرد الشعر الى الطبيعة امّه . فمنذ اليوم الذي تأزمت فيـه المشادة بين ادباء الغرب وطلعت وحوش النظريات من اوجارها يكشر بعضها في وجه البعض الآخر التوى الشعر عن قصده واصبح زياً يتلون بتلون الاهواء . ولكن النفس لا تخطىء لانها معكس ومصهر لحقايق ابدية هي الطبيعة والحياة ، ففيما المدارس الشعرية منصرفـة الى التطاحن اذا بطائفة من مبدعي هذه المدارس ترتفع عن الفرضيات الزائـلة الى المصدر الأبـدي ، فرأينـا بودلير البرناسي يصدر عن نفسه ويلتقي فرلين الرمزي على صعيد واحـد ، ورأينا جميع الشعراء الحقيقيين من زعماء المدارس يتفلّـون في الاودية المظلمة ويجتمعون انقياء على قمّة واحدة هي الشعر .

فالمدارس الشعرية سجون ونظرياتها قيود ، والشـاعر لا يعيش في جـوّ العبودية هـذا . فالطبيعـة هي جـوه الفسيح تتكيّف إحساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه ، واذا خرج الشاعر من هذا الجوّ خرج من نفسه وكذب على نفسه .

الياس ابو شبكه



شمشون

ملّقيه بحسنك المأجور وادفعيه للانتقام الكبير
أن في الحسن يا دليلة افهمي كم سمعنا فحيحها في سرير
أسكرت خدعة الجمال هرقلا قبل شمشون بالهوى الشرير
والبصير البصير يخدع بالحسن وينقاد كالضرير الضرير
ملّقيه فالليل سكران واه يتلوى في خدره المسحور
ونسور الكهوف اوهنها الحبّ فهانت لديه كالشحرور
وعنا الليث للبزوة كالظبي فما فيه شهوة للزئير

*

شبّ الليث ليلةً فتنزّى ثائراً في عرينه المهجور
تقطر الحيّة المسعّرة الشهباء منه كأنه في هجير
يضرب الارض بالبراثن غضبان فيُصدي القنوط في الديجور
ووميض اللظى يغلّف عينيه فعيناه فوهتا تنّور !
ونزا من عرينه تتشظى حمم من لظاه في الزمهرير
واللهاث المحموم من رئتيه يشعل الغاب في الدجى المقرور

فسرى الذعر في الذئاب ففرت وترامى الى عشاش النسور
واذا لبوة مخدّرة الحسن تردّت من كهفها المخدور
تنضح اللذةُ الشهيّة منها : خمرةً من جمالها المأثور
فتنث العبيرَ في مخدع الليل فتشهى حتى عروقُ الصخور
فتلاشى اللهيب في سيد الغاب امير المغاور المنصور
والعظيم العظيم تضعفه أنثى فينقاد كالحقير الحقير !

ملّقيه في اشعة عينيك صباحُ الهوى وليلُ القبور
وعلى ثغرك الجميل ثمار حجبت شهوة الردى في العصير
ملقيه فبين نهديك غامت هوةُ الموت في الفراش الوثير
هوة اطلعت جهنمُ منها شهوات تفجرت في الصدور
ملقيه ففي ملاغمك الحُمر مساحيقُ معدن مصهور
يسرب السمُّ من شفافتها الحرى الى ملمس الردى في الثغور

*

خيم الليل يا دليلة في الغاب وأغفى حتى الشذا في الزهور
فانشقي فورة الحرارة من جسمي وغذّي قواك من اكسيري
انت حسناء مثل حية عدْن ، كورود الشارون ذات العطور
وكعُفر الوعل الوديع وانّ كنت تناجين عقرباً في الضمير
لست زوجي بل انت انثى عقابُ شرس في فؤاديَ المسعور
فاشتهي ، كل ليلة ، مخلبي الدامي على خزّ جسمك المخمور

*

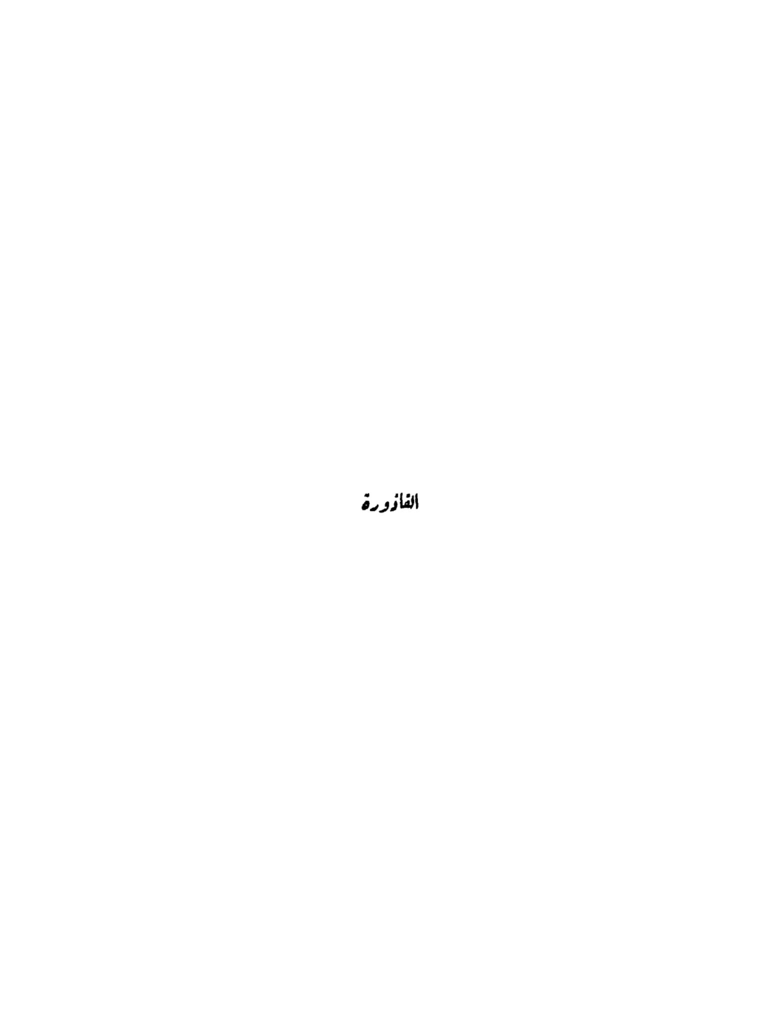
واتى الصبح ضاحك الوجه يرغي ... زبدُ النور في ضحاه الغرير
اين شمشون يا صحاري يهوذا ... اين حامي ضعيفك المستجير
اين قاضيكِ، دافع الضيم، طاغي ... المستبدين، صائن الدستور؟
اعورت شهوةٌ من الحب عينيه ... وكم اعور الهوى من بصير
ان قاضي المستعبّدين لعبدٌ ... وقضاةٌ عورٌ قضاةُ العور

*

حفلت قاعة العقاب بجمعٍ ... من سراة المسوّدين غفير
هم رموز الشقاق والفتن الحمراء ... والغدر والزنى والغرور
اقبلوا يشهدون مصرع شمشون ... على لذة الطلا والزمور
بؤرة تعبق القذارة منها ... سُترت بالشفوف والبرفير
أيدين الخاطي جناةٌ صعاليكُ ... ويقضي الفجور ذنب الفجور
وسرت خمرة الوليمة في الحفْل ... لتقديس ساعة التكفير
وكأن النسيم شُوّق للخمرة ... فانسلّ من شقوق الخدور
ولنقر الدفوف صوت غريب ... يتحدى صوت العقاب الاخير
واذا قينةٌ تخالجها السكرُ ... على مشهد من الجمهور
فتثنت تضاجع الجوّ نشوى ... من تلوّي قوامها المحرور
رقصة الموت يا دليلة هذي ... ام تراها اختلاجةً في الخمور؟
وصغا الجمع للاسير يناديه ... بشتى مطاعن التحقير:

« هيه شمشون ، ايها الفاجر الزنديق يا عبد يهوه المقهور
أحكيمٌ من العتاة تذرّي شعره قينةٌ من الماخور؟ »
فتلوى شمشون في القيد حتى حل فيه روح الاله القدير
فنزا نزوة الوميض من الغل ودوّى كنافخ في صور:
بددي ، يازوابع النار ، اعداء الهي ويا جهنمُ ثوري
وتنفس ، ياموقد الثأر في صدري وأغرق نسل الريا في سعيري
وامصصي ، يادليلة الخبث ، من قلبي فكم مرة مصصت قشوري
وارقصي ، انما البراكين تغلي تحت رجليك كالجحيم النذير
وتغني بمصرعي فكثيراً ما سمعتُ الفحيح في المزمور
اصبح الليث في يديك اسيراً فاطرحيه سخريّة للحمير
واجعلي الغلّ رمز كل صريح واليواقيت رمز كل غدور
ان اكن سُقت في غرامك شراً فالبرايا مطيّة للشرور
غير اني اجني من الجيف الجرداء ـ مهما قذرتـ شهد قفير
هيكل الاثم لم أبح لك ذلي شبح الرق لم اسلّمك نيري
فاسقطي يا دعائم الكذب الجاني وكوني اسطورة للدهور
محق الله فيّ شر ظلامي فلتضىء في الحياة حكمة نوري
ان تكن جزّت الخيانة شعري في ضلالي فقوتي في شعوري!

١٩٣٣



الفازورة

حلمتُ بدنيا ـ ليتها لا تبدّدُ لذائذ احلامي ولا كان لي غدُ ـ
أضن بانشادي على الناس سحرَها وهل في الورى أذنٌ اذا قمت انشد
واوقظت مذعوراً الى شر هاجس كأنيَ روح، في جُثام ، مشرَّد
ـ نفيق من الحلم الشهي الى رؤى: كوابيس في يقظاتنا تتسرد ـ
فألفيتُ دنيا من فواجعها الورى على بابها لوح من الرّق اسود
قرأت عليه احرفاً خطها اللظى يروعك منها اثنان: «سجن مؤبد»
فطوّفت في غمْر من الليل ، والخنا يعربد والارجاس ترغي وتزبد
وللحمأ الغالي نشيشٌ ورغوة كأن الورى مستنقع يتنهد
وأغمدت في صلب الدجنّة ناظري وفي كل جفن لي من الهدب مبرد
فأبصرت اطباقاً تُعمّدها يدٌ : أصابع من عظم ، وتصبغها يد
صباغ يفور الخزي منه ملاصقاً اذا علقت فيها النواظر تجمد
وشاهدت في الاطباق مفسدة الورى تمور بها الديدان سكرى تعربد
مقاذرُ تمشي في الحياة طروبة تغني ، واصداء القبور تردد
هم الناس في الدنيا تهاويل حنّطت بكيتُ عليهم في جحيمي وعيّدوا

وما هذه الدنيا ، يذرّى رمادُها لريح الفنا ، الا جحيم مرمَّد.
تلاشت بـه النيران غـير بقية تشبُّ ، لها في شهوة الطين موقد.
فـفي طبق مستنقعٌ في صقيعه نمت حشراتٌ فاجـرات توقّد
نساء اقلت في الصدور مراضعاً على فمهـا الوردي للاثم مورد.
عواهر افنت في الفجور شبابها فـا روحها الا عجوز تقوّد
مراضعها فطسـاء فهي ضفادع على ما بها من شهوة النار تجلد !
وداعاً عذارى الحب في خيم الهوى جمـالك محظور وعدنك موصد
فقدتك حتى في اغانيّ مزهري وكان لشعري منك ما يتجـود.
الا اغلقي الفردوس في وجه شاعر يضم طنابير الجحيم وينشد
لئن تك نار البغض تلظى بعينه ففي قلبه النوّار للحب مزود.
يحس فراديس الحيـاة بروحه وليس يرى الا جحيما يهدد!
كما يثبت الصفصاف في عاصف الدجى وللافق وجهٌ هـابط الغيم اربد.
وللريـح في الغابات زعق كأنه صدى الجن في وادي الجحيم يزغرد.
كذلك يبقى في دجى النفس ثابتاً جمـالٌ له في قبة النفس فرقـد.
وفي طبق وادٍ تكدر ماؤه فـلا عشبة تنمو ولا غصن ينقد
ولا تسمع الارواح في شعفاتـه خليـاً يغني او هزاراً يغرد.
فثمة جرذان ترى النور آفـة فتؤثر اوجار الظـلام وتلبـد.
ملوك يقاضون النفوس الى السما وينهي بايديهم ضميرٌ مدوَّد.
على فمهم سفْرِ السماوات مشرع وفي روحهم سيف الجحيم مجرد.

اذا ما لحاهم مؤمن فهو فاجر ... وان ندّ من اغلالهم فهو ملحد
وثمّ خفافيشٌ مواليدُ بؤرة ... اذا غار فيها سيد بان سيد
سلاطين حفت بالسياط عروشهم ... فسيدهم سهول الصعاليك مجّلد
ترى منهم الصاقي يقيء نخاعه ... صباغاً على شسع الغزاة ويسجد
وثم جراداتٌ عطاش فوارث ... ينكّبرها وهج الجناح فتمرد
محبّرة الاردان مفجوعة الحشا ... توابيت يطليها الجبن وعسجد
لها في مقاصير السماء مطامح ... وليس لها في مسلك الجو مقود
تفرّش فيه وقّح الوجه والسما ... لانسرها ، لا للصراصير ، مصعد
قياصرة عور الملاحم ، زيّفت ... يواقيت في تيجانهم وزمرد
مجانين تستاف البلى من خيالهم ... يناط بهم من نسل عبقر سؤدد
مواليد فردوس أراغوا نفوسهم ... فلم يبق للوجدان فيهن مولد !
عذيرك من نور الفراديس عبقر ... ومغناك في متن السماك مشيد
وتشعل في عينيك نارٌ نقية ... بمقدسها طيف السماء مجسّد
وصدغك مدهون بزيت مطهّر ... وبالبلسم الشافي هواك مضمّد
رأيتك تمشي في المساخر شاعراً ... وتاجك محطوم عليك مكمّد
وروحك ممسوخ ونورك ذاهل ... وشعرك بالغل الدنيء مصفّد
وشاهدت اشباح السماء كئيبة ... عليك ، باسواط الاراجيف تطرد
ففيمَ ازغت النفس عن نهج قدسها ... فصارت مغاراً سافلا وهي معبد !

١٩٣٤



الافعى

أجيبيه أني ما ازال مقرَّباً بنفسي الى نجم يقال له الشعرى
وأنيَ لم انسل في سرَب الدجى بغاءً لأُلقيه على دَعري ستَرا
ولم اغش اخداار النساء من الكوى فأجعل سيّين المغارة والخدرا
وما رعتُ من زوج فداورجته على ولائي، وفي هذا الولا بغية نكرا
فلما قطرتُ الصدق خبثاً بصدره قطرت له في نسله قطرة أُخرى

*

أقول لها اعراق زوجك لم تزل وفي قلبه عطف الابوَّة لم يبرى
ولم يبر احساس الرجال بصدره فحبك يجري منه في الجهة اليسرى
اقول لها ثوب العفاف تذكري ففي ساعة الاكليل لم يك مغبرا
لبستِ رداء العرس ابيض ناصعاً فمن اين جاءت هذه اللطخة الحمرا؟

*

وسائلك الحمقاءُ اصبحن في يدي أُعيذك بالشيطان من هذه البشرى
لقد ايبس التكفير ازهار عهرها فسلت ِ الجنون احلامك الخضرا
لقد ندمت ، لكن سترجع ، انني لمحت عليها من ندامتها طمرا

ستملكها ما شئت بعدُ فلا تخف وتمتصها حتى تصيّرها قشرا
ستحفر مصقول الرخام بجسمها شفاهك حتى تبرز الاعظم الصفرا
ستمزج بالسم الذعاف دماءها لتجعلها للموت مصلا فيجترا
وترمي بها في حمأة الويل والخنى مُسقاطة عار تلهم الخوف والذعرا
اجل ، سيراك الليل بعدُ تضمها ويبصرك المصباح تعصرها عصرا
وسوف ترى فيك المآثم نعجة قد التصقت في بطنها حية سمرا
ستملكها ما شئت بعد فلا تخف فان ابنها لما يزل يجهل الامرا
صغير، بريء العين، يرضى بلعبة فيرقد منبوطاً بذي الهبة الكبرى
ينام ولا يدري بأن سخافة تلهى بها كانت لموبقة سعرا

١٩٢٩



فى هيكل الشهوات

ما لي ارى القلب في عينيك يلتهبُ ألیس للنار ـ يا اخت الشقاء ـ سبب؟
بعض القلوب ثمار ما يزال بها عرف الجنان، ولكن بعضها حطب

*

ذكرت ليلة امس فاختلجت لها والليل سكران مما سحت السحب
ذكرتها غير ان الشك خالجني : ان النساء اذا راوغن لا عجب
فهن من حية الفردوس امزجة يثور فيهن من اعقابها عصب

*

اخاف في الليل من طيف يسيل على موجات عينيك حيناً ثم يغترب
طيف من الشهوة الحمراء تغزله خمر الليالي وفي اعماقه العطب
ووجهك الشاحب الجذاب ترهبني الوانه يتشهى فوقها اللهب
ما زلت تغتصبين الليل في جهد حتى تجمد في اجفانك التعب
وما السواد الذي في محجريك بدا الا بقايا من الاحشاء تغتصب !
وحق طفلك لم اشمت بامرأة زلت بها قدم او غرها ذهب
غرب انثى يخون البؤس هيبتها ـ والبؤس اعمى ـ فتعيى ثم تنقلب

*

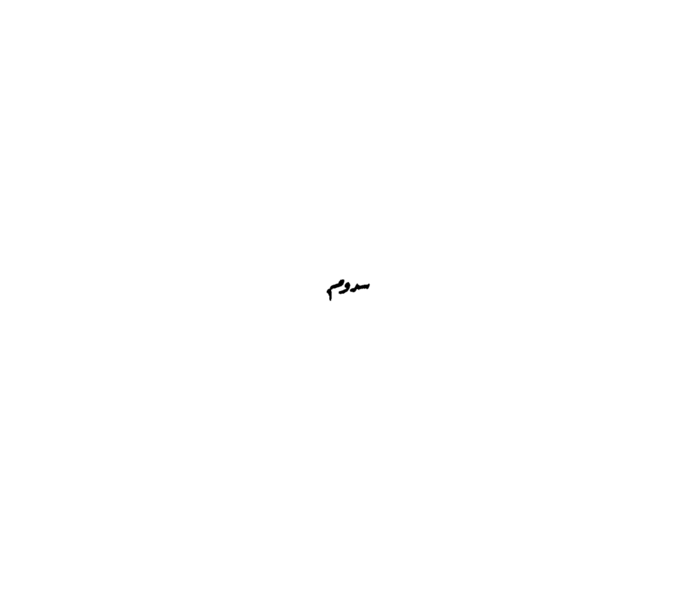
لي مهجة كدموع الفجر صافية نقاوتي والتقى أم لها واب
فكيف اختلس الحق الذي اختلسوا وكيف اذأب عن لؤم كما ذئبوا؟
لي ذكريات كأخلاقي تؤدبني فلا يخالجني روغ ولا كذب!
ابقى لي الامس من غلواي عفتها ولم يزل في دمي من روحها نسب
وحق روحك يا غلوا ولو غدرت بي الليالي واصمت قلبيَ النوب
ان كنت في سكرة او كنت في دعر ومر طيفك مر الطهر والأدب
وانت ، يا ام طفل في تلفته سؤل العفاف وفي اجفانه لعب
صبي الخمور فهذا العصر عصر طلا اما السكارى فهم ابناؤه النجب
لاتقنطي ان رأيت الكأس فارغة يوماً ففي كل عام ينضج العنب!
صبي الخمور ولا تبقي على مهج موج الشباب على رجليك يصطخب
اما انا ـ ولو استسلمت امس الى خمر الليالي ـ فقلبي ليس ينشعب
قد اشرب الخمر لكن لا ادنسها واقرب الاثم لكن لست ارتكب
وفي غد اذ تنير الطفل ميعته وتهرمين ويبقى ذلك الخشب
قولي له جئت في عصر الخمور فلا تشرب سوى الخمر واشحب مثلما شحبوا!
قولي له هذه الايام مهزلة وليس ـ الا لمن ينشي بها ـ الغلب
قولي له عفة الاجساد قد ذهبت مع الجدود الاعفاء الألى ذهبوا
قولي لطفلك ما تستصوبين غداً فكل امر له في حينه خطب
ولكن اليوم صبي الخمر وانتخبي من الملذات ما الآثام تنتخب

٤٣

ولا تخافي عذولا فالعذول مضى — والعصر سكران - ياأخت الشقا - تعِب

طريقة الشك - انّى سار - يملكه — وحلمه الشهوات الخمر والقرب !!

١٩٢٩


سدوم

مضناك ملتهبٌ وكأسك مترعة   فاسقي اباك الخمر واضطجعي معه

لم تُبق في شفتيك لذاتُ الدما   ما تذكرين به حليب المرضعه

قومي ادخلي، يابنت لوط، على الخنى   وازني فان اباك مهّد مضجعه

ان ترجعي دمك الشهي لنبعه   كم جدول في الارض راجع منبعه

لا تعبأي بعقاب ربك انه   جرثومة من نارك المتدفعه

في صدرك المحموم كبريت اذا   لعبت به الشهوات فجر اضلعه

في صدرك الدامي مناجم للخنى   اورثتها نار الذراري المزمعه

فبكل صقع من ضلوعك قسمة   خلعٌ على لهب الشباب موزعه

*

ايهِ سدوم بُعثت من خلل اللظى   حمراء في شهواتك المتشرعه

في كلِّ جيل من لهيبك سنّة   سكرى محطمة عليه مخلعه

عقبت بيَ الذكرى اليك فاشعلت   قلبي واجفاني رؤاك الموجعه

شاهدت من خلل اللهيب حدائقاً   كانت نواضر في الفصول الاربعه

نشقت من الفردوس عبقة سحره   ومن السماء طيوبها المتضوعه

خضراء طاهرة الفراش كأنها بصفاء عدنٍ لا تزال مبرقعه
وكأن من تكفير آدم نفحة فيها ومن صلوات حواء دعه
ورأيتُ غدراناً : مراضع تربة بأجنّة الزهر الندي مرصعه
ومراوح الفجر الجميل على الذرى يلقى عليها كل طير مخدعه
ورأيت حوراً في شفوف زنابق بيضاء من لبن الجنان مشبّعه
نفخ الصبى بنهودها فتكورت وتبسمت عن وردة مترفعه

*

ماذا فعلت، سدومُ، اين جواذب كانت على تلك الخدود مجمّعه
فيم استحال لبانك النامي الى خمر بكاسات الفجور مشعشعه
ذوبت خمرك لا ليصبح طاهراً لكن ليستهوي النفوس فتجرعه
وجعلت غرغرة الافاعي كأسه ليذوق منها كل قلب مصرعه

*

سكرت بك الدنيا سدوم فكلها زمرٌ على طرق الحياة متمتمه
واثرت حنجرة الفجور فاطلقت حمماً على نغم الجحيم موقعه
اغنيّة حمراء انشدها الخنى مزقاً على اوتارك المتقطعة

*

أسدوم هذا العصر لن تتحجبي فبوجه أمك ما برحت مقنّعه
كانت منكرة كوجهك عندما هبت عليها من جهنم زوبعه
قذفتك صحراء الزنى بحضارة ثكلى مشوهة الوجوه مفجّعه

بؤرٌ مستّرة الفساد بخدعة نكراء بالخز الشهي مرقعه

*

اسليلة الفحشاء نارك في دمي فتضرمي ما شئت ان تتضرمي
انا لست اخشى من جهنم جذوة ما دام جسمي ،ياسدوم، جهنمي
طوفتِ بي ميتاً باروقة اللظى فحملتُ تابوتي وسرت بمأتمي
وعصبتِ بالشبق المجمّر جبهتي فرفعتها في عصريَ المتهكم
علمتني لغة النبوءة عندما فجرت الغمام المسموم بمنجمي
مهلا كلانا يا سدوم مسلح فلظاك في جسمي وثأري في فمي
سيّرتِ قلبي في المهازل شاعراً وذررت مسحوق العظات بمرقمي
فكأن غضبة انبيائك عندما أُحرقت عاشت في اللظى المتكلم
ابغيّ هذا العصر خمرك فاغرفي واسقي ذراريَّ الوري واستسلمي
وبمضجع الغرباء نامي حقبة ثم اعدلي عنه لآخر وارتمي
وتمرغي ما شئت في حماء البلى حتى يجف بك الرضاع وتهرمي
حتى تضاجعك الافاعي في الدجى ويصير حسنك مخدعاً للارقم
حتى يفور الدود منك وينثني يمتص جيفة عرضك المتهضم
حتى يدب الموت فيك وتمحي ذرية المهد الاثيم المجرم

١٩٣١



الخيال النقى

يا ابنةَ الاثم هذه شفتايا | فارشفي منهما رحيق الخطايا
واعصري ،ما استطعت،قلبي فقلبي | لم يزل فيه من غرامي بقايا
وتوقي إحدى زواياه ، لا تقسي | فلي حرمة باحدى الزوايا
إن في قلبيَ البغي خيالا | من عفاف ما فاجرته البغايا
ان تكن حفنتي المدمّاةُ ملكي | فخيال العفاف ملك سوايا

١٩٢٩



أولا تراهم يرتدون الليل حتى منتهاه؟
يستنزفون دم الشباب ويرقصون على قواه ؟
هذا فتىً كانت تموّجُ بالجواذب وجنتاه
كان الندى يطفو على آماله وعلى صباه
كانت ازاهير الربى بالامس تسكر من شذاه
وذرى الجبال اذا رأته تقول: «ما أعلى ذراه !»
ماذا دهاه اليوم ؟ — ألشهوات تعرف ما دهاه
أما الجمال فانه لم تبق تعرفه دُماه
ولكم سمعت الورد ينكره فيسأل : « من تراه ؟ »
والفجر أصبح يعرف الدنيا جميعاً .. ما عداه

*

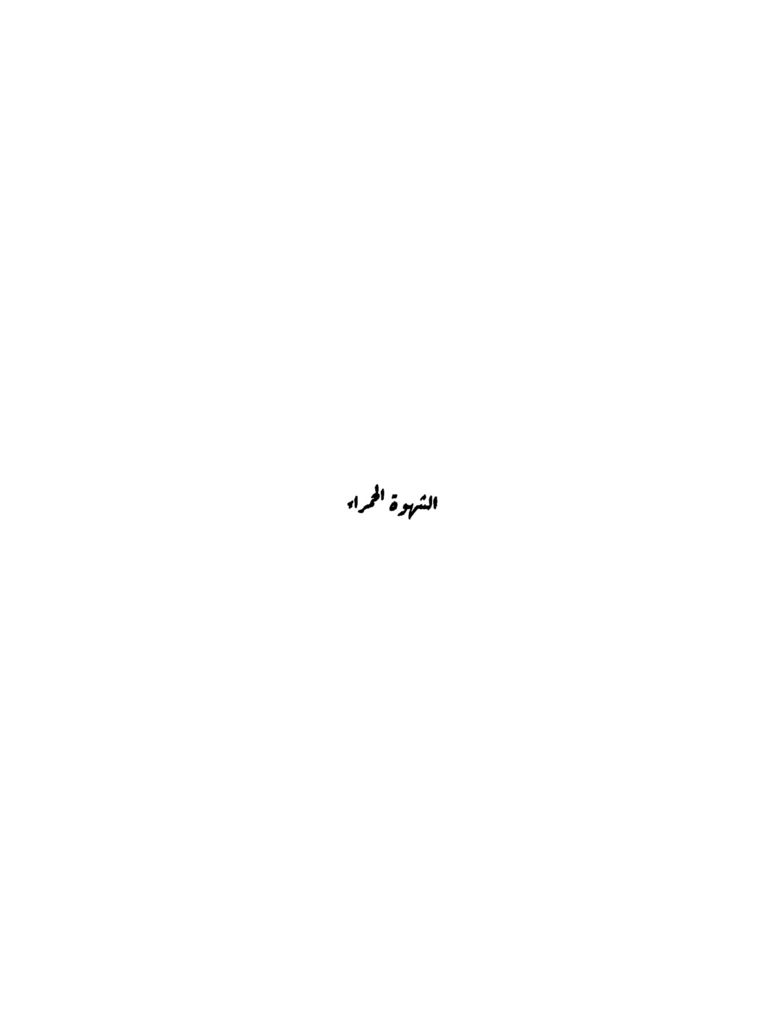
عهدان: عهد هوىً نقيٍّ مات في شرف وجاه
وهوى يعربد في دمي وتنشُّ في كأسي دماه
لم أدر من هي أمه العرّى، ولم اعرف اباه

بحر من الشبهات: مرآة لأهـوال الحيـاه
ألهم صخرته الصغيرة والمساخـر شاطئـاه

*

لا تطعم الحبَّ اللجام ودعـه يدلـج في سراه
دعه فأم الطفل تملكه كما ملكت سـواه
لسريرهـا خلجـاته ولمرشفيهـا مرشفـاه
ونساء هذا العصر إن أحببن أطعمن الشفـاه
أما قلوب العاشقـات فانها . . . وآخجلتاه !

١٩٢٩



الشهوة الحمراء

أطفىء ضياكِ وأظلم مثل إظلامي   وخلّني في كوابيسي واحلامي.

فربّ نيّرة ـ يا ليل ـ توقظني   الى العفاف فأنسى عبء آثامي.

احس في جسدي شوقاً يعذبني   ففي دمي سوْرة كالخمر في جامي.

لم يبق في حفنتي نارٌ لغير هوىً   يودي بجسمي كما اودى باجسام.

حبي النقيّ كايماني القديم مضى :   وهمٌ هذيتُ به من بعض اوهامي!

أترى الغصنَ مذ يمر عليه   عاصف الريح كيف تذوي زهوره

هكذا القلب حين تلبسه   الآثام يقسو وقد يجف شعوره

يا حسرة الليل كم توحين من حلم   ميتٍ لقلب بغيّ أُخت آلام

أو قلب ارملة جار الزمانُ على   عفافها فأماتت قلبها الظامي

مهما يكن سبب استسلامها، أهوى   في النفس، أم كان انقاذاً لأيتام

فلتقض شهوتها حتى يهدّ مها   ما كان في صدرها من عهرها الدامي

وتنجزَ الشهوةُ الحمراء دورتها   فيمّحي رحمٌ من بين أرحام!

*

أميرةَ الشهوةِ الحمراء، إن دمي   من نسلك الهادم المهدوم فاحترمي.

خلقت تحترفين الموت فاقتربي — مني فاني احترفت الموت من قدم
حملتُ منجله في العهر منتقماً — من النساء فهاتيه لتنتقمي !
هاتي من العهر اشكالاً ملونة — نمرْ بها بعضنا بعضاً وننهدم
لقد تعبتُ من الأحلام في جسد — ملّ العفافَ بألوان من الألم
ولنعاط الهوى ، لعل عصيراً — من ثمار الشفاه والأكباد
أو لعل الآثام تشرب منا — ما تبقّى من طهر ماء العباد
إنا اتحدنا ليوم واحد ، وغداً — يأتي فيخلفني قوم تحبهم
سيعشقونك يوماً يغنمون به — ما غادرت منك ساعاتي لليلهم
وسوف تنسين ـ يا أخت الدما ـ فهم — كما نسيت ـ على رغم الدماء ـ فمي !
عشرون قلباً شربت الحب من دمها — وما شبعت ، ولم يشبعك شرب دمي
إذن فسوف تظل النفس جائعة — حتى يجف دمٌ في غلفها النهم ؟

*

سترجعين !.. ولكن مثل آمالي — جوفاء مشلولة في جسمك البالي !
سترجعين مدمّاة مشوهة — أدنى الى الموت مني رغم اثقالي
سترجعين كطيف مر في حلُمي — ليلا فذكرني في الحلم أهوالي
سترجعين ، ولا اقصيك عن جسدي — حتى تحل الليالي الحمر اوصالي
حتى يحل وباء الخلد في كبدي — ويعلق العارُ من بعدي بأذيالي !
غير أني ـ ولي يراع مدمّى ـ — سوف ينقى ذكري وتنقى دمائي
ستقول الاجيال كان شقياً — فليقدس في جملة الاشقياء

ويرفع الحب لي في كل زاوية من القلوب ضريحاً خالداً عالي
أما الشباب ففي أقصى سُلالته لن ينتسي كيف كانت في الهوى حالي
سينظر الغد في أمسي ويغفره لأن قلبي كنفسي غير محتال
وكلما ذكر اسمي مر في فمه ذكر التي صقلت للموت أغلالي
ذكرالتي اختصرت عمري بشهوتها وخلدت عهرها الدامي لأجيال!

*

أجل ستذكرك الاعقاب والحقب ما دام في الارض من صلب الزنى عقب!
لا مثلما ذكر الأفرنج «لورهم» ولا كما ذكرت «عفراءها» العرب
بل مثلما ذكرت روما قبائحها في مقلتيْ «مسلينا» وهي تضطرب
هذا هو الليل فاسقي السم هاتفة لعل في الناس قوماً بعدُ ما شربوا
وسرّحي يدك الصفراء فوق هوى يسيل في محجريه الجهد والتعب
ولتكن هذه الاشارة رمزاً لاصفرار على الملذات مرّا
لونها بالاصفرار الى ان يختم الموتُ نزعها المستمرا
أطفىء ضياك فان النور يُذكرني أمسي، وتقلق روحي هذه الشهب
قد يوقظ النور أعياداً مقدسة تشع من خلل الماضي وتلتهب
أطفئه يا ليل واغمرني بحالكة من الظلام فأنسى حين احتجب
أشقى بلذتيَ الحمراءِ في جسدي وأمحي، لا هوى يبقى ولا وصب
خرّبت قلبي وأطعمت الوحوش دمي في كل مخلب وحش منهما خرب
١٩٢٩

شهوة الموت

٦٧

ناقمٌ على السماءْ حاقدٌ على البشرْ
ساخط على القضاء ثائر على القدرْ
غير قطرة المساء لا أحب في السحر
صرتُ أمقت الصفاء صرت أعشق الكدر
غير مشهد الدماء لا أحب في العصور
ناقم على السماء والبشر !

*

جمّلي ليَ الجسدْ واسكبي ليَ الرحيقْ
لا تفكري بغدْ قد يجي ولا نفيقْ
ما لنا وللأبد إن سره عميقْ
ألهوى اذا اتّقد كانَ للبلى طريق
فلنمت يداً بيد ولنغيِّب البريقْ
بين شهوة الجسد والرحيقْ !

١٩٢٩



حديث فى الكوخ

سمعتني اقول شعراً شقياً يستفز الآلام في سامعيه
فتلاشت وتمتمت في سكون الليل: « الله ! ما الذي يشقيه ؟ »
ثم أخفت في ضفة العين دمعاً شاء سر الوقار ان تخفيه

*

قلتُ: « في مقلتيك خمر العذارى فهي اكسيرك الذي تحجبينه
ما خمور الكؤوس مهما تلظت كخمور القلب الذي تعصرينه
تسكبين الشعر الطروب من العين ، وفي النفس غير ما تسكبينه
إن فيها آيات حزن اليم ورموزاً من الليالي حزينه ! »

*

وتمادى السمّارُ في خمرة الكأس ، وكلٌ منهم سها كأخيه
وعزيف الأوتار يمزج بالخمر عصيراً أرق من شاربيه
قلت: «في مهجتي فراغ رهيب فاعصري فيه فلذة تملأيه !»

*

فأمالت عني عيوناً سكارى وأمالت الي قلباً شقياً !

وأذابت من مقلتيها رحيقاً جرعته الشجون في مقلتيا
ثم قالت: « خبرت حب البغايا فنظمتَ العذاب شعراً بغيّا!
فتبينت كل مـا اضمرته حين مالت عني ومالت اليـا

*

وتراءى في رفرف الليل مولود عليـه غلالـة من ابيـه
فأطلت من كوة الكوخ ، والليـل يزف الضحى الى ساهريه
قلت: « في ما تفكرين ؟ » فقالت: « في سكون الدجى وفيما يليه ! »

*

واشرأبت من الكوى الاعناق وأذابت بريقهـا الاحداقُ
واستفاقت من نومهن العذارى حائرات، والعاشقون استفاقوا
الخليّون أومـأوا بيديهم وبطرف اللواحظ العشاق
واستفاق الجميع من نشوة الخمرة حتى الآمـال والاشواق

*

قلت: «في ما تفكرين؟» فقالت: « في يراع سحرُ الهوى من ذويه
في يراعٍ علمتُه الحب حتى صرت اهواه ، صرت من عاشقيه! »
فذكرت المـاضي وقلت لقلبي : « انهـا - ياشقي - تهواك فيه »

*

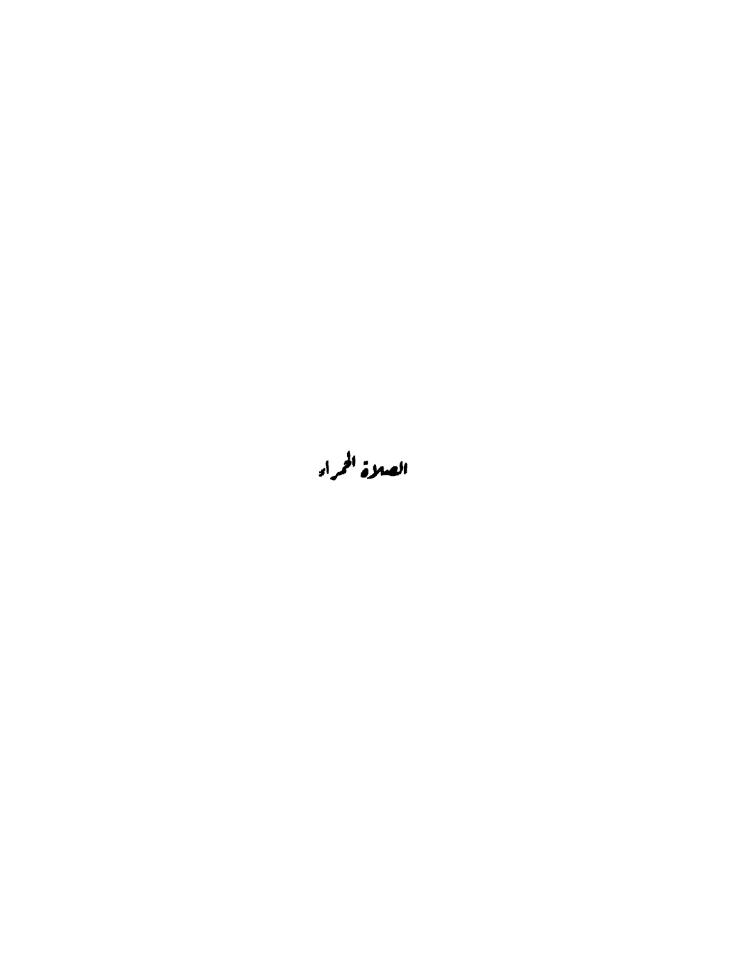
ايها الفجر، يا حبيب الشقيين ، ويا مشعل الهوى والشبابِ
ايهـا الشاطىء المسر الى الموج حديث العشاق والاحبـاب

ايها الكوخ، والعيون السكارى بخمور لم تمتزج بعذابِ
لا تجسي قلبي فلم يبق فيه من بناء الماضي سوى اخشاب

*

وانصرفنا، وقبل ان اتوارى عن جمال الشاطي وعن ساكنيه
قلت للمرأة التي آلمتني حين قالت: الله! ما يشقيه!
«لي قلب أفرغته فاتركيه في الهوى فارغاً ولا تملأيه!»

١٩٢٩



الصلاة الحمراء

رباه عفوك ، اني كافرٌ جانِ جوّعت نفسي وأشبعت الهوى الفاني
تبعت في الناس اهواء محرمة وقلت للناس قولا عنه تنهاني
ولم أفق من جنون القلب في سبلي الا وقد محت الاهواء ايماني
رباه عفوك ، اني كافر جان !

*

لكم دعتني الى الفحشاء اميال وانذرتني تجاريبٌ واهوال
ان التجاريب للالباب موعظةٌ لكنها لأولي الاضلال اضلال
تلك الليالي المواضي لا يزال لها بين الخرائب في عينيَّ اطلال
وآحسرتاه ! وقلبي لا يزال له في لذة العار أوطارٌ وآمال

لما استفاقت عيوني في ذلتي وهواني
عزمت أن أتعرى من شهوتي فثناني
وقال لي : «الحكم حكمي والامر طوع بناني
لا تستطيع التفني في الحب عن سلطاني
والحب لا يتغذى ان لم يكن شهواني !»

فلم أجد لي مفيضاً يوماً من الاذهان
فصرت أغذوه عاراً والنفس في تيهان
وصار يسكر روحي بنغمتي خفقان
بنغمة من لهيب ونغمة من دخان
حتى ظننت نعيمي في ذلك البركان
رباه عفوك ، اني كافر جان !

*

وطأت لي كنف الدنيا فقلت قفي يانفس في منهل اللذات وارتشفي
ومال مذهب طبعي عن سجيته حتى تقلب في بطل وفي صلف
وغاب عنيّ اني عشبة نبتت على جوانب ابريق من الخزف
على جوانب ابريق اذا نظرت عين الى عتقه انحطت على تلف
فخارة ذات نتن قديمة كالزمان
مرت قرون عليها فحال لون الدهان
ومهد النتن فيها مسارب الديدان
فخارة دنستها خواطر الانسان
تخاصمت جانبيها مظالم الاديان
كأنما الدين فيها ضرب من الويل ثان
كم مرة اوعدتها ثرائر الغليان
وكم تفجر فيها بالامس من بركان

تبقى قروناً طوالا وتمّحي في ثوان
خزّافها ذو حنان حيناً وذو سلطان
ينهى ويأمر بالصاً عقات والنيران
ديدانها مسكرات بخمرة التيجان
والتاج ، لو هي تدري ، معنى من البهتان
رباه عفوك ، اني كافر جان !

*

فخارة جبلت بالدمع والطين من عهد قايين أو من قبل قايين
نيرون اضرم فيها جمر مقلته تلك البراكين من اجفان نيرون
تبادرتها من الديدان طائفة أبطال حرب من الغلب المجانين
ما كان اسكندر فيها سوى شبح يحجّب الشمس عن عيني ديوجين
ما كان جنكيز الا شرارة في الكيان
تضرمت وتوارت بين الرماد الفاني
رب المغول آله الـ نيران والعصيان
ثارت عليه ، كما نا ر ، سنّة النيران
والنار تمحق الا الـ تذكار في الاذهان
أبقت لفارس ذكرى كسرى انو شروان
وقوّضت ما بناه من شاهقات المباني
لم تبق الا بقايا خورنق النعمان

تلك البقايا عظات الـ زمـان للانسـان
تلك البقـايا رموزٌ لسخريات الاماني!
أين الذي شيّدتـه جلائلُ الرومان ؟
حلمٌ من المجـد أبقى اسطورة في اللسان
شرعُ المقـدَّر ألاّ يبقى سوى الخسران
أما الكمال فحلمٌ في هجعة النقصان
يُرقى اليـه رويـداً على متون الزمان
على الارادة والتضحيـات والعرفـان
حتى اذا حكّ كان الـ كلام للطوفان
وكان للنـار رأيٌ وللدمـار يدان !
أمّ الزلازل طوا فةٌ بكل مكـان
آثـارهـا باقيـات وقفاً على الاجفان
والناس ـ واحسرتاهُ ـ اثنـان مختلفـان
أعمى له مقلتـان في العقل مبصرتان
ومبصرٌ أظلمتـه عينان لا تريـان

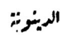
*

تُرى مشيئتك العليـا تناديني بثورة النار في تلك البراكين ؟
رباه ، هـل ينتهي حلمي ببارقة من اللهيب ، ويخبو الطين في الطين
وهل أرى زاحفاً في الليل ملتهباً بجمرة السخط في ايدي الشياطين

ادعوك، والظلمة الحمراء تحرقني، فلا تجيب ، وتلوي لا تنجّيني ؟
اعرضت عنك غداة القلب ضللني كأنّ شهوة قلبي عنك تغنيني
وحين اوقظت من سكر الهوى خجلا بحثت عنك ، وكاد العار يخفيني
فلم تمل قلبك الرحمن عن ألمي وقلتَ : « تطلبني بين المساكين ؟ »

لكنني عدت بعد الـ تكفير عن تيهاني
الى ذنوب جسامٍ كثيرة الالوان
ملوثات بدمع مخضبات بقان
وقلت للقلب : « أطلق في الموبقات عناني
طيف الاله بعيد وعينه لا تراني . »
وقيل يوم عصيبٌ ينقضّ قبل الاوان
تنفّذ النار فيه والحكم للديان
فرحت اسأل نفسي الـ دفاع عن كفراني
فلم اجد من يحامي عني سوى بهتاني
رباه عفوك ، اني كافر جان !

٢١ نوار ١٩٢٨



حوّل خيالك عني ... ولا تخيّم عليا
فليس اهلك مني ... ولا اللظى من يديا
لم اغش في النفس مأثم ... ولم انادم رجالك
ابليس ليست جهنم ... داري، فحوّل خيالك

*

قيثارتي لم الطّخها باقذار ... على طوافي بها في بؤرة العار
عذراء تتّهم العُهرّى بكارتها ... في كل خمارة اصغت لأوتاري
وكل قاذورة ترقى بعورتها ... الى لسان ذريف الخبث سيّار
تنكّر الخفر الممسوخ في دمها ... بزخرف عاقر في منطق عار
اوتار قيثارها الموبوء فاجعة ... كأنها حية لاذت بقيثار
أفمي أصيبت بحمى المجد فانقلبت ... من كفها مزقاً سكرى على الغار
ابليس ، خذ هذه العهرى فان بها ... ما في جحيمك من زفت ومن نار
خذها اليك وعقّمها فلا حبلت ... انثى من الانس بالكبريت والقار

*

كم شاعر خبثت فيه عرائسه | فراح يملي بانياب واظفار
من المواخير اوحين الجمال له | معرّف الشهوة السفلى بازهار
وجئنه بأكاليل مفجّعة | نمت سموماً على حافات أوجار
تاج من الدرك الادنى يطوف به | على الخفافيش في اشلاء اطمار
تسير في ركبه الاقزام : حاشيةٌ | قامت لتأييده في ملكه الهاري
تهتكت سخريات الخلود به | فصاح تلك على الاجيال آثاري
لا يضمر الحبّ الا في محاجره | فعينه للهوى والقلب للثار
ابليس خذه وعقمه فلا نشأت | من صلبه اسرة شوهاء في دار

*

كم عاشق راغ من عذراء طاهرة | نُعلّت من الملاء الاعلى بأنوار
باكورة الحب ابقى في مراشفها | ثديُ السماء رضاع الفاطر الباري
حتى اذا أدنأت فيه وفاجرها | وقام يطرحها عن جسمه الضاري
أهرت على يأسها واليأس ينخزها : | إما الضريح واما العار فاختاري
وكم وليّ رعى شعباً فاهلكه | ترغي على زهده ارياق عشار
وحاكم سفلت فيه وداعته | فاظهرت حملاً في قلب جزار
ابليس ، خذهم جميعاً في براقعهم | وارفع جناحك عن ابكار اوتاري
خذهم اليك فلا عاذت سلالتهم | وعقم النار يا ابليس بالنار

*

حول خيالك عني ولا تخيم عليا

فليس اهلك مني — ولا اللظى من يديا
لم اغش في النفس مأثم — ولم انادم وجالك
ابليس ، ليست جهنم — داري، فحول خيالك

*

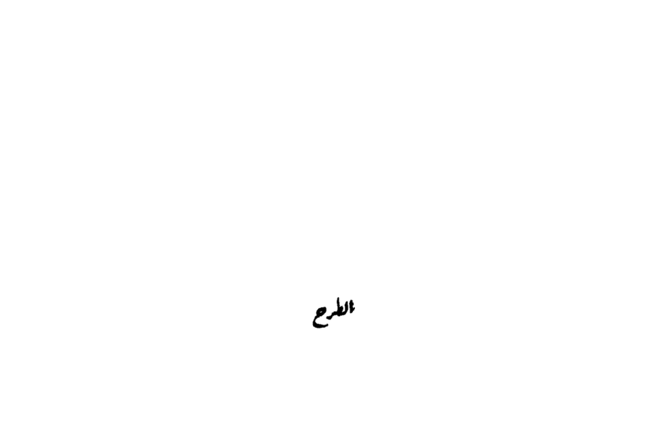
وما سرى في مقاصير اللظى خبرٌ — حار اللهيب به واستسألت سقر
أن الورى اطلقوا ريحاً الى سقر — تقود للنار قوما دانه البشر
حتى اطلت من الاشباح طائفة — في هودج يتنزى تحته الشرر
بلهٌ العيون ضخام كلما وغلوا — في مسرب من دياميس اللظى صغروا
تجرهم بومة حمراء في يدها — فأس على جانبيها صُوّر الدعر
فثار ثائر اهل النار كلهم — وجيّشت زمر في اثرها زمر
تدفقت من سراديب الجحيم الى — ايوان ابليس حيث الجن قد سكروا
وكان في موكب الاشباح ذوبطر — يفح في شفتيه حيةٌ ذكر
عليه قيثارة ثكلى مخلعة — وصولجان من الاحلام منكسر
يلقي على غرف النيران اخيلة — من ثوبه الاحمر القاني فتستعر
فما اصاخ الى الانغام يعزفها — رهط من الجن حتى مسه خدر
وصاح: « ماهذه الرؤيا واين انا؟ » — فقال ابليس : « مهلا هذه سقر
حملت قيثارة في الارض كاذبة — من الحقيقة لم ينبض بها وتر
وريشة من جناح البوم ما رسمت — الا خفافيش بالديباج تستتر
فانت لي وجحيمي لي أوزعه — على الألى انشدوا اشعراً وماشعروا »

وكان في موكب الاشباح ذو صلف في كفه سلع في عينه قذر
يجر ذيل قوانين مشوهة من الفضيلة لم يعلق بها اثر
فقال ابليس: «أطرق، ان من سفلت يداه في الارض لا يعلو له بصر
فانت لي وجحيمي لي اوزعه على الأُلى اقسموا للشعب وابتهروا.»
وكان في موكب الاشباح ذو خطل يرغي ويزبد لا يبقي ولا يذر
في مقلتيه براكين مرمّدة وفي الجبين خيـال الله ينحدر
فقال ابليس: «أقصر، لم تكن غضباً في منطق الرسل الآيات والسور
فانت لي وجحيمي لي اوزعه على الأُلى ماجزوا الا ليبّشروا.»

*

وكانت الخمر ترغي في مقاصفها والجن تعزف والنيران تنفجر
اذا بصوت من الارض التي سفحت يقول للنار: «أهل الارض قد غفروا»

١٩٣٣



الطرح

رحمٌ الاثم لعنةٌ انت منه في دمائي كانت وفي أعراقي

ام عقاب لما تسحّق من حبيَ في لذتي وفي اشواقي؟

حملت امك القنوط الى وجهي وكنت الرجاء في اعماقي

جئت في سحنة المسوخ فلمْ حطمت حلماً نما على احداقي

الأني بذلت حبي ولم أُطعمك منه سوى الفتات الباقي؟

عشت في مقلتيّ ساعة هول حجرت غصتي على اشفاقي

وارتني، كأنني في جثام، عالماً فيك موحش الآفاق

فرأيت المسخ المخيف على اكمل حسن، والقزمَ في العملاق

ولسانَ الثعبان في قبلة الصدّيق والسمَّ في الشراب الواقي

وسمعت الفحيح في النغم العذب وصوت العدوّ في الميثاق

كم نفوس رأيتها تلفظ الاثم فيرقى منها الى الارياق

لذة الاثم كيف تمقتها النفس ويحلو عصيرها في المذاق؟

كم فتى يسعر الجحيم بعينيه وفي القلب للسماء مراق

ولقد ينصر الجحيم فيردي بعضه ما يبعضه من خلاق

«وسمعت الحياة تهتف في نفسي فيصدي الهتاف في ابواقي :
«أهلك الماثئون في رحمي الحبّ وسمّوا الزلال في ترياقي
«فطرحت الاقزام في اسواقي عبراً للدمار في العشاق
«ورأيت الفردوس لفّت افاعيه غصوني وكمّشت اوراقي
وتراءت ليَ الطبيعة دنيا من كمال نسيقة الاذواق
«فرأيت الجماد شبعان حباً كل صدر عليه ثديٌ ساق
«ان في الحب صورة الله، لكن اين في الخلق صورة الخلاق؟»

١٩٣٨

انتهى طبع هذا الكتاب
في ٢٩ آب سنة ١٩٣٨
في « دار المكشوف »، بيروت

مطبعة الاتحاد - تجاه التياترو الكبير - بيروت

